



في رهاب أهل البيت عليهم السلام

(٢٨)

البكاء على موتى المؤمنين



اسم الكتاب: البكاء على موتى المؤمنين

المؤلف: السيد عبدالرحيم الموسوي - لجنة البحوث

الموضوع: فقه

الناشر: مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام

الطبعة الاولى: ١٤٢٢ هـ

الطبعة الثانية: ١٤٢٥ هـ

المطبعة: ليلى

الكمية: ١٠٠٠٠

ISBN: 964-8686-68-8

حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام

www.ahl-ul-bait.org

كلمة المجمع

إنّ تراث أهل البيت عليه السلام الذي اختزنته مدرستهم وحفظه من الضياع أتباعهم يعتبر عن مدرسة جامعة لشتى فروع المعرفة الإسلامية. وقد استطاعت هذه المدرسة أن تربي النفوس المستعدة للاعتراف من هذا المعين، وتقدّم للأمة الإسلامية كبار العلماء المحتزين لخطى أهل البيت عليه السلام الرسالية، مستوعبين إثارات وأسئلة شتى المذاهب والاتجاهات الفكرية من داخل الحاضرة الإسلامية وخارجها، مقدّمين لها أمتن الأجوبة والحلول على مدى القرون المتتالية.

وقد بادر المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام - منطلقاً من مسؤولياته التي أخذها على عاتقه - للدفاع عن حريم الرسالة وحقائقها التي ضيّب عليها أرباب الفرق والمذاهب وأصحاب الاتجاهات المناوئة للإسلام، مقتفياً خطى

أهل البيت عليه السلام وأتباع مدرستهم الرشيدة التي حرصت في الرد على التحديات المستمرة، وحاولت أن تبقى على الدوام في خطّ المواجهة وبالمستوى المطلوب في كلّ عصر. إنّ التجارب التي تختزنها كتب علماء مدرسة أهل البيت عليه السلام في هذا المضمار فريدة في نوعها؛ لأنها ذات رصيد علمي يحتكم الى العقل والبرهان ويتجنب الهوى والتعصب المذموم، ويخاطب العلماء والمفكرين من ذوي الاختصاص خطاباً يستسيغه العقل وتتقبله الفطرة السليمة. وقد جاءت محاولة المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام لتقدم لطلاب الحقيقة مرحلة جديدة من هذه التجارب الغنية في باب الحوار والسؤال والرد على الشبهات - التي أثّرت في عصور سابقة أو تثار اليوم ولا سيّما بدعم من بعض الدوائر الحاكمة على الإسلام والمسلمين من خلال شبكات الانترنت وغيرها - متجنّبة الإثارات المذمومة وحريصة على استثارة العقول المفكرة والنفوس الطالبة للحق، لتفتح على الحقائق التي تقدّمها مدرسة أهل البيت الرسالية للعالم أجمع، في عصر يتكامل فيه العقول ويتواصل النفوس والأرواح بشكل سريع وفريد.

ولابدّ أن نشير الى أن هذه المجموعة من البحوث قد أعدت في لجنة خاصة من مجموعة من الأفاضل . ونتقدم بالشكر الجزيل لكل هؤلاء ولأصحاب الفضل والتحقيق لمراجعة كلّ منهم جملة من هذه البحوث وابداء ملاحظاتهم القيّمة عنها.

وكلّنا أمل ورجاء بأن نكون قد قدّمنا ما استطعنا من جهد أداءً لبعض ما علينا تجاه رسالة ربّنا العظيم الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدين كلّه وكفى بالله شهيداً.

المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام

المعاونية الثقافية

البكاء على موتى المؤمنين

فكرة عامة حول البكاء

البكاء تعبير عن حاجة إنسانية يلجأ إليها الإنسان بطبيعته، عندما تكتنفه صعوبات الحياة وآلامها، فلا يملك إزاءها حولاً ولا قوة تعينه على الفرار منها خصوصاً في اللحظات الحرجة فيتنفس عبر البكاء، أو عندما يفاجأ بفقدان حبيب أو خسارة مادية أو معنوية، فيختل توازنه النفسي فيندفع تلقائياً وبلا شعور فيستفرغ احتصاره وكتبته عن طريق البكاء، وهذه الحاجة لا تختص بعقيدة دون أخرى، لأن منشأ البكاء نفسي وفطري.

فإذا كان البكاء فطرياً يلجأ إليه الإنسان عند الاختناق والهلع النفسي، فيكون أداة لتفريغ الهموم والصدمات النفسية ؛ فهل يا ترى للبكاء فوائد أخرى يتضمنها، أم يقتصر على هذا الحد؟

أولاً: لا يخلو البكاء من فوائد كثيرة منها الصحية والنفسية والسياسية ، نذكر فيما يلي قسمًا منها على سبيل الاختصار.

أ- إن البكاء يمثل منهجاً لتزكية النفس من الأدران والذنوب، خصوصاً عندما يكون بدافع الندم والتوبة.

ب- إن البكاء يرفع الإنسان الى درجة التحسس بآلام المحرومين والمظلومين في الأرض، لأن البكاء يوقظ الضمير وينبّه الوجدان، في حالة الاعتراف بالتقصير أمام الله والخشية منه.

ج- البكاء يعالج قسوة القلب المذمومة في الشريعة، مثل الطبع على القلب والختم عليه.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾^(٢).

د- إن البكاء له بُعد سياسي، لأنه الطريق الأفضل لرفع الظلم واستنكار ممارسات الظالمين في الظرف الذي لا يسمح بالمواجهة، وعندما يشعر الإنسان بأنه لا يقدر على فعل شيء فيكون البكاء تعبيراً عن الرفض والمعارضة.

(١) البقرة: ٧٤.

(٢) الحديد: ١٦.

ثانياً: ذكروا أن للبكاء الذي يلجأ إليه الإنسان ذاتياً دوافع، فقد يبكي الإنسان عندما يُفاجأ بخبر مفرح لم يتوقع تحققه إطلاقاً، كما يبكي الإنسان عندما يتعرض لحزن شديد، أو لفزع، أو لمداهمة من غريب، أو وجع مؤلم، أو رياء، أو شكر، أو بكاء من خشية الله.

البكاء عند فقدان الأحبة والشهداء والصالحاء والمؤمنين. والبكاء على موتى المؤمنين هو أحد الموارد المشروعة التي ندبت إليها الشريعة ولا يمكن تجزئته عن أنواع البكاء الأخرى، لكن البعض ذهب إلى حرمة وعدم جوازه محتجاً ببعض الروايات التي لم يثبت صدورها عن رسول الله أو أنها حملت على الحرمة.

من هنا سوف نتناول هذه المسألة ضمن عدد من المباحث في منشأ الخلاف في حرمة البكاء، وفي سيرة الرسول ﷺ وبكائه على موتى المؤمنين، وفي سيرة المسلمين قبل وفاة الرسول وبعد وفاة الرسول ﷺ. وما ورد عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) في البكاء، ثم أحكام البكاء عند الإمامية وأدلتها الشرعية لنذكر بعد ذلك الطريق الصحيح الذي ينسجم مع أصول الشريعة الغراء.

المبحث الأول

منشأ الخلاف في حرمة البكاء على موتى المؤمنين

إن منشأ الخلاف في مسألة حرمة البكاء على موتى المؤمنين يرجع لرواية عمر بن الخطاب وابنه عبدالله، عن النبي ﷺ، أنه قال: «إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه». وقد نقلت هذه الرواية بعدة ألفاظ منها ببعض بكاء أهله عليه، ومنها ببكاء الحي عليه، ومنها يعذب في قبره بما نوح عليه.

ولا عبرة باختلاف الألفاظ لأن هذه الروايات كلها من رواية عمر بن الخطاب وابنه عبدالله^(١).

ووقف الصحابة من هذه الرواية موقف المعارض ونعتوا راويها بالخطأ أو النسيان، لأنها تعارض القرآن الكريم وأن رسول الله ﷺ لم يقل ذلك، وإنما قال: «إن الله ليزيد الكافر عذاباً ببكاء أهله عليه» إلى غير ذلك من الردود.

(١) الامام النووي في شرح صحيح مسلم ٦: ٢٢٨ كتاب الجنائز، وجامع الأصول ٩٧: ١١.

موقف عائشة من الرواية ومن حرمة البكاء

عن ابن أبي مليكة قال: (توفيت بنت لعثمان بن عفان بمكة فجئنا نشهدها، وحضرها ابن عمر وابن عباس، وإني لجالس بينهما، فقال عبدالله بن عمر لعمر بن عثمان - وهو مواجهه - : ألا تنهى عن البكاء؟! فإن رسول الله ﷺ قال: إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه!).

فقال ابن عباس: قد كان عمر يقول بعض ذلك، ثم حدث فقال: صدرت مع عمر من مكة حتى إذا كنا بالبيداء، فإذا هو بركب تحت ظل شجرة، فقال: اذهب فانظر من هؤلاء الركب؟ فنظرت، فإذا هو صهيب قال: فأخبرته، فقال: أدعه، فرجعت إلى صهيب، فقلت: ارتحل، فالحق بأمير المؤمنين، فلما أن أصيب عمر: دخل صهيب يبكي، يقول: وا أخاه، واصحابه! فقال عمر: يا صهيب، أتبكي علي وقد قال رسول الله ﷺ: إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه؟ فقال ابن عباس: فلما مات عمر ذكرت ذلك لعائشة، فقالت: يرحم الله عمر، لا والله ما حدث رسول الله ﷺ: أن الميت يُعذب ببكاء أهله عليه، ولكن قال: إن الله يزد الكافر ببكاء أهله عليه.

وقالت عائشة: حسبكم القرآن: ﴿أَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾.

قال ابن عباس عند ذلك: والله أضحك وأبكى.

قال ابن أبي مليكة: فما قال ابن عمر شيئاً^(١).

وفي رواية قال ابن أبي مليكة: ذكرت الحديث لعائشة فقالت: أما والله ما تُحدّثون هذا الحديث عن كاذبين مكذّبين، ولكن السمع يخطئ وإنّ لكم في القرآن لَمَّا يُشْفِيكُمْ: ﴿أَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾^(٢) ولكن رسول الله ﷺ قال: إن الله ليزيد الكافر عذاباً ببكاء أهله عليه^(٣).

وعن عمرة بنت عبد الرحمن قالت: سمعت عائشة رضي الله عنها وذكّر لها أن عبد الله بن عمر يقول: «إن الميت ليعذب ببكاء الحي عليه» نقول يغفر الله لأبي عبد الرحمن، أما أنه لم يكذب ولكنه نسي أو خطأ، وإنما مرّ رسول الله ﷺ على يهودية يُبكي عليها، فقال: «إنه لئبكي عليها، وأنها لتُعذب في قبرها» أخرجه الجماعة إلا أبا داود^(٤).

(١) جامع الأصول لابن الأثير ٩٢: ١١.

(٢) النجم: ٣٨.

(٣) صحيح البخاري ١٢٧: ٣ وصحيح مسلم رقم ٩٢٨ في الجنائز باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه، والنسائي ١٨: ٤ و ١٩ في الجنائز.

(٤) جامع الأصول لابن الأثير ٩٤: ١١.

وفي رواية قالت: يرحمه الله، لم يكذب ولكّته وهم، إنما قال رسول الله ﷺ لرجل مات يهودياً: إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ وَإِنَّهُمْ لَيَبْكُونَ عَلَيْهِ.

وكانت عائشة مع عمر في هذه المسألة على طرفي نقيض فقد ناحت على أبيها يوم وفاته خلافاً لنهي عمر. وعن سعيد بن المسيب أنه قال: لما توفي أبو بكر أقامت عليه عائشة النوح، فأقبل عمر بن الخطاب حتى قام ببابها، فنهاه عن البكاء عليه فأبين أن ينتهين، فقال عمر لهشام بن الوليد: أدخل فأخرج إليّ ابنة أبي قحافة، فقالت عائشة لهشام حين سمعت ذلك من عمر: إني أخرج عليك بيتي. فقال عمر لهشام: أدخل فقد أذنت لك، فدخل هشام فأخرج أم فروة أخت أبي بكر إلى عمر، فعلاها بالدرة فضربها ضربات فتفرق النوح حين سمعوا ذلك^(١).

موقف ابن عباس

اتّضح موقف ابن عباس في مسألة البكاء على موتى المؤمنين ومعارضته لرواية عمر بقوله السابق الذكر^(٢).

→ قال الشافعي: وعمر احفظ عن عائشة من أبي مليكة: معرفة السنن للشافعي ٢: ٢٠٢.

(١) تاريخ الطبري ٢: ٣٤٩، حوادث سنة ١٣.

(٢) جامع الأصول لابن الأثير ١١: ٩٢.

موقف أبي هريرة

أما أبو هريرة، فقد قال: (مات ميت من آل رسول الله ﷺ، فاجتمع النساء يبكين عليه، فقام عمر ينهاهن ويطردهن، فقال رسول الله ﷺ: «دعهن يا عمر، فإن العين دامعة، والقلب مصاب، والعهد قريب»^(١)).

تعارض روايات تحريم البكاء مع روايات جوازه

ورد عدد من الروايات التي أدعي أنها تدل على نهى النبي ﷺ عن البكاء، فمع قطع النظر عن ضعفها وعدم صلاحيتها للتعارض، تبقى لا تنهض بدليلها حتى لو سلمنا فرض صحتها، لأنها بطبيعة الحال تتعارض مع الروايات القائلة بجواز البكاء، وكونه من سيرة رسول الله ﷺ على من رآه مشرفاً على الموت وعلى من توفي شهيداً، أو غير شهيد وعلى قبر المتوفى.

وأن استدراك عائشة، وأقوال الصحابة من كون روايات النهي محصورة بالخليفة الثاني وابنه عبدالله، وأنها ناشئة من

(١) سنن النسائي ٤: ١٩، سنن ابن ماجه ١: ٥٠٥، باب ما جاء في البكاء، ح ١٥٨٧، السنن الكبرى للبيهقي ٤: ١١٧، باب من رخص في البكاء، ح

الخطأ والنسيان، وأن رسول الله لم ينة عن البكاء، يجعلنا نعرض عن روايات النهي وتتمسك بسيرة رسول الله ﷺ القائمة على جواز البكاء.

تعارض مضمون روايات تحريم البكاء مع مفاهيم القرآن الكريم

والذي يلاحظ مضمون روايات تحريم البكاء، يجد أن هذه الروايات تنسب العقوبة لغير فاعل الذنب، وهي بذلك تخالف نصوص القرآن الكريم، التي لا تحمل الذنب إلا على فاعله.

قال تعالى: ﴿أَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾^(١).

الوزر: هنا بمعنى الإثم والذنب المُنْتَقَل للظهر، والوازره النفس المذنبة التي تذنّب. والمراد: لا يحمل أحد من المذنبين ذنب غيره^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(٤).

(١) النجم: ٣٨.

(٢) جامع الأصول لابن الأثير ١١: ٩٣.

(٣) النجم: ٣٩.

(٤) الزلزلة: ٧-٨.

وقال تعالى: ﴿لَتَجْزِيَّ كُل نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾^(١).
 وقبل أن نختم البحث نذكر بأن هناك روايات استدلت بها
 البعض على جواز البكاء قبل الموت لا بعده، جاءت بألفاظ
 متقاربة في معناها من كون البكاء محرماً بعد الموت.
 منها: ما جاء عن عبدالله بن عمير، عن جبر: (أنه دخل مع
 النبي ﷺ على ميت فبكى النساء، فقال جبر: أتبكين؟ لا
 تبكين ما دام رسول الله جالساً.
 قال رسول الله ﷺ: «دعهن يبكين ما دام بينهن، فإذا
 وجب فلا تبكين عليه باكية»^(٢).

ويحمل هذا الحديث على رفع الصوت عالياً وخمش
 الوجوه، لأن النبي ﷺ لما بكى وقال عبدالرحمن: أولم
 تكن نهيت عن البكاء؟ قال: «لا ولكن نهيت عن صوتين
 فاجرين: صوت عند مصيبة خمش وجوه وشق جيوب، ورنة
 شيطان»^(٣).

(١) طه: ١٥.

(٢) الموطأ ١: ٢٣٣ وأبو داود رقم ٣١١١ وراجع الأحاديث بهذا المعنى،
 جامع الأصول لابن الأثير ١١: ١٠٠-١٠١ والنسائي ٤: ١٣ و ١٤.

(٣) الجامع الصحيح ٣: ٣٢٨ ح ١٠٥٥.

المبحث الثاني

بكاء الرسول والأنبياء ﷺ على موتى المؤمنين

١ - لقد بكى النبي ﷺ على عمه حمزة وحث المسلمين على البكاء عليه.

قال ابن سعد: (لما سمع رسول الله ﷺ بعد غزوة أحد البكاء من دور الأنصار على قتلاهم، ذرفت عينا رسول الله ﷺ وبكى وقال: «لكن حمزة لا بواكي له» فسمع ذلك سعد بن معاذ فرجع الى نساء بني عبد الأشهل فساقهن فدعا لهن. فلم تبك امرأة من الأنصار بعد ذلك الى اليوم على ميت إلا بدأت بالبكاء على حمزة، ثم بكت على ميتتها^(١)).

ولم يتضمن هذا الحديث فعل النبي ﷺ فحسب، بل يتضمن أمره بالبكاء أيضاً، كما يكشف منه بأن البكاء على موتى المؤمنين في عصر الرسالة، قد شكّل ظاهرة تعاطاها المسلمون آنذاك.

(١) طبقات ابن سعد ١١:٣ ومغازي الواقدي ١:٣١٥-٣١٧ وامتناع الاسماع ١:١٦٣ ومسند أحمد ٢: ١٢٩، ح ٤٩٦٤ وتاريخ الطبري ٢: ٢١١ وسيرة ابن هشام ٣: ٩٩.

٢ - لما أُصيب جعفر وأصحابه في غزوة مؤتة دخل رسول الله ﷺ بيته، وطلب بني جعفر، فشتمهم ودمعت عيناه، فقالت زوجته أسماء: بأبي وأمي ما يبكيك؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء؟ قال: نعم أُصيبوا هذا اليوم. فقالت أسماء: فقمْتُ أصبح وأجمع النساء، ودخلت فاطمة وهي تبكي وتقول: واعمَّاه! فقال رسول الله ﷺ: على مثل جعفر فلتبكي البواكي»^(١).

ولا ريب أن هذا الحديث قد تضمن بكاء النبي ﷺ بل وقوله: «على مثل جعفر فلتبكي البواكي» وتقريره لبكاء أسماء، وكلها دلائل واضحة على مشروعية البكاء على موتى المؤمنين والشهداء.

٣ - وبكى الرسول ﷺ على الشهداء في الغزوة المذكورة.

كما جاء في صحيح البخاري: أن النبي نعى زيدا وجعفرًا وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم، وقال: «أخذ الراية زيد، فأصيب، ثم أخذ جعفر فأصيب، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب»، وعيناه تذرفان...^(٢).

(١) الاستيعاب ٣١٣:١، أسد الغاية ٢٤١:١، الإصابة ٢٣٨:٢. ترجمة جعفر بن أبي طالب، الكامل في التاريخ ٤٢٠:٢.

(٢) صحيح البخاري ٢٠٤:٢ والبداية والنهاية لابن كثير ٢٨٠:٤، والسنن ←

٤- وبكى النبي ﷺ على ابنه إبراهيم.
قال أنس: (دخلنا مع رسول الله ﷺ... وإبراهيم وجود
بنفسه، فجعلت عينا رسول الله تذر فان، فقال له عبدالرحمن
بن عوف رضي الله عنه: وأنت يا رسول الله؟! فقال: «يا بن عوف، إنها
رحمة» ثم أتبعها بأخرى فقال ﷺ: «إن العين تدمع والقلب
يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم
لمحزونون»^(١).

في هذا الحديث وصف رسول الله ﷺ تساقط الدموع
بأنها رحمة. ومن هذا التعبير يفهم أن البكاء حسن.
ثم أراد بقوله ﷺ: «إن العين تدمع»، إلى آخر الحديث
أن لا إثم بدمع العين وحزن القلب، وإنما الإثم بقول ما
يسخط الرب كالاعتراض عليه سبحانه.
٥- وبكى الرسول ﷺ على أمه عند قبرها.

→ الكبرى للبيهقي ٤: ٧٠ وأنساب الأشراف ٢: ٤٣، وشرح نهج البلاغة لابن
أبي الحديد ١٥: ٧٣.

(١) صحيح مسلم ٤: ١٨٠٨ كتاب الفضائل باب رحمته بالصبيان والعيال،
سنن أبي داود ٣: ١٩٣ كتاب الجنائز باب البكاء على الميت، وسنن ابن
ماجة ١: ٥٠٧ كتاب الجنائز باب ٥٣ ح ١٥٨٩ والبخاري: شرح وتحقيق
قاسم الشماعي الرفاعي ٢: ٥٥٦، ح ١٢١٦ كتاب الجنائز، باب ٨٢٨
قول النبي وإنا بك لمحزونون.

عن أبي هريرة قال: (زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله)^(١).

٦- وبكى الرسول ﷺ في مرض سعد بن عبادَةَ.
عن عبد الله بن عمر قال: اشتكى سعد بن عبادَةَ شكوى له، فأتى رسول الله ﷺ يعودُه مع عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود، فلما دخل عليه وجده في غشية، فقال: (أَقْضَى؟) قالوا: لا يا رسول الله! فبكى رسول الله ﷺ، فلما رأى القوم بكاء رسول الله ﷺ بكوا، فقال: «أَلَا تَسْمَعُونَ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْذِبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ وَلَا بِحُزَنِ الْقَلْبِ، وَلَكِنْ يَعْذِبُ بِهَذَا، وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ، أَوْ يَرْحَمُ»^(٢).

٧- بكاء الرسول ﷺ على سبطه الإمام الحسين بن علي عليه السلام.

عن أم الفضل بنت الحارث أنها دخلت على رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إني رأيت حلمًا منكراً الليلة،

(١) صحيح مسلم ٦٧١:٢ كتاب الجنائز باب زيارة القبور ح ٣٢٣٤، سنن النسائي ٩٠:٤ كتاب الجنائز ما جاء في قبر المشرك، وسنن ابن ماجه ٥٠١:١ كتاب الجنائز، باب ما جاء في زيارة قبور المشركين ح ١٥٧٢.
(٢) صحيح مسلم ٦٣٦:٢ كتاب الجنائز باب ٦.

قال: «وما هو؟ قالت: إنه شديد، قال: وما هو؟ قالت: رأيت كأن قطعة من جسدك قطعت ووضعت في حجري، فقال رسول الله ﷺ: رأيت خيراً، تلد فاطمة إن شاء الله غلاماً فيكون في حجرك. فولدت فاطمة الحسين فكان في حجري كما قال رسول الله ﷺ: فدخلت يوماً إلى رسول الله فوضعت في حجره، ثم حانت مني التفاتة، فإذا عينا رسول الله تهرقان من الدموع، قالت: فقلت: يا نبي الله! بأبي وأمي، ما لك؟! قال: أتاني جبرئيل فأخبرني أن أمتي ستقتل ابني هذا، فقلت: هذا؟! قال: نعم، وأتاني بتربة من تربته حمراء».

قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه^(١).

وهناك روايات أخرى لا يسعنا ذكرها تؤكد كون الرسول ﷺ قد بكى في أكثر من مناسبة على الإمام الحسين ابن علي عليه السلام^(٢).

(١) مستدرک الصحيحین ٣: ١٧٦، وتاريخ ابن عساکر ح ٦٣١، وفي مجمع الزوائد ٩: ١٧٩، ومقتل الخوارزمي ١: ١٥٩، وأمالی الشجري: ١٨٨، والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ١٤٥، والصواعق المحرقة: ١١٥، وكنز العمال ٦: ٢٢٣، والخصائص الكبرى ٢: ١٢٥.

(٢) كرواية زينب بنت جحش، راجع تاريخ ابن عساکر ترجمة الإمام

ولم يكن البكاء وليد عصر الرسالة، وإنما له عمقه التاريخي حيث نجد عدداً من الأنبياء قد بكوا في مناسبات مختلفة:

قال تعالى عن نبيه يعقوب عليه السلام: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يَوْسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾^(١).
فقد بكى يعقوب على ولده يوسف حتى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتُنَا تَذَكَّرُ يَوْسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾^(٢).
قال الزمخشري: إذاكثر الاستعبار محقت العبرة سواد العين وقلبته الى بياض كدر. قيل: قد عمي بصره. وقيل: كان يدرك إدراكاً ضعيفاً، قرئ من الحزن ومن الحزن، الحزن كان سبب البكاء الذي حدث منه البياض فكأنه حدث من الحزن.

→ الحسين ح ٦٢٩ ومجمع الزوائد ٩: ١٨٨، وكنز العمال ١٣: ١١٢، وابن كثير في تاريخه ٨: ١٩٩ وكرواية عائشة: في طبقات ابن سعد رقم ٢٦٩، وتاريخ ابن عساكر في ترجمة الإمام الحسين: ح ٦٩٧، ومقتل الخوارزمي ١: ١٥٩، ومجمع الزوائد ٩: ١٨٧، وكنز العمال ١٣: ١٠٨، والصواعق المحرقة لابن حجر: ١١٥.

(١) يوسف: ٨٤.

(٢) يوسف: ٨٥.

قيل: ما جفت عينا يعقوب من وقت فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاماً وما على وجه الأرض أكرم على الله من يعقوب.

وعن رسول الله ﷺ أنه سأل جبرئيل عليه السلام: ما مبلغ وجد يعقوب على يوسف؟

قال: وجد سبعين ثكلى.

قال: فما كان له من الأجر؟

قال: أجر مئة شهيد. وما أساء ظنّه بالله ساعة قط.

فإن قلت: كيف جاز لنبيّ الله أن يبلغ به الجزع ذلك المبلغ؟

قلت: الإنسان مجبول على أن لا يملك نفسه عند الشدائد من الحزن، ولذلك حمد صبره وأن يملك نفسه حتى لا يخرج الى ما لا يحسن.

ولقد بكى رسول الله ﷺ على ولده إبراهيم وقال: «القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب، وإنّا بك يا إبراهيم لمحزونون».

وإنّما الجزع المذموم ما يقع من الجهلة من الصياح والنياحة، ولطم الصدور والوجوه، وتمزيق الثياب.

وعن النبي ﷺ أنه بكى على ولد بعض بناته وهو
يوجد بنفسه، فقيل: يا رسول الله تبكي وقد نهيتنا عن البكاء؟
فقال: «ما نهيتكم عن البكاء وإنما نهيتكم عن صوتين أحمرقن:
صوت عند الفرح وصوت عند الترح».

وعن الحسن عليه السلام أنه بكى على ولده أو غيره، فقيل له في
ذلك، فقال: «ما رأيت الله جعل الحزن عاراً على يعقوب فهو كظيم
فهو مملوء من الغيظ على أولاده ولا يظهر ما يسوؤهم»^(١).

(١) الكشاف للزمخشري ٢: ٤٩٦.

المبحث الثالث

سيرة المسلمين في البكاء على موتى المؤمنين

أما سيرة المسلمين بعد وفاة رسول الله ﷺ، فهي الأخرى خير دليل كاشف عن جواز البكاء، حيث نلمس من خلالها، أن المسلمين وكبار الصحابة قد بكوا على موتاهم من المؤمنين، ورثوهم بمختلف القصائد الشعرية^(١)، وإليك جملة من الشواهد التاريخية التي تؤكد صحة البكاء وشرعيته واستمرار سيرتهم عليه:

١- وقف الإمام أمير المؤمنين على ضريح النبي ﷺ ساعة دفنه فقال: «إن الصبر لجميل إلا عنك، وإن الجزع لقيح إلا عليك، وإن المصاب لجليل، وإنه بعدك لقليل».

٢- وللإمام علي عليه السلام رثاء في حق رسول الله ﷺ:

(١) ولا يختلف هنا الرثاء عن البكاء من حيث الممارسة التعبيرية عن الحزن الشديد فالرثاء يتضمن البكاء أحياناً والعكس صحيح أيضاً، ومادة بكى ورثى تعني: بُكاءً وبكى: سال دمه حزناً فهو بالك بكى عليه ورثاه بكى الميت ورثاه .
ورثا: رثوا الميت: بكاه وعدّد محاسنه نظم فيه شعراً. المنجد في اللغة والأعلام: ٤٦ و ٢٤٩ ط ٣٥.

ألا طرق الناعي بليل فراعني
وأرقني لما استقل مناديا
فقلت له لما رأيت الذي أتى
لغير رسول الله لو كنت ناعيا^(١)
٣- عن أنس بن مالك قال: كانت فاطمة جالسة عند رسول
الله ﷺ فتواكدت عليه كُربُ الموت، فرفع رأسه وقال:
واكرباه! فبكت فاطمة وقالت : واكرباه لكربك يا أبتاه. قال: لا
كرب على أيبك بعد اليوم^(٢).

٤- وَرَثَتْ فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين ﷺ
أباها ﷺ عند مماته بأبيات تهيج الحزن، منها:
ماذا على من شم تربة أحمد
أن لا يشم مدى الزمان غواليا
صبت علي مصائب لو أنها
صبت على الأيام عدن لياليا^(٣)

(١) أنساب الأشراف للبلاذري: ٢٧٦/٢.

(٢) العقد الفريد ٣: ١٦٤.

(٣) إرشاد الساري ، للقسطلاني ٣: ٤١٥.

٥ - ولصيفة عمّة الرسول ﷺ رثاء حزين عند وفاة

النبي ﷺ وهو قولها:

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا

وكننت بنا برّاً ولم تك جافيا

وكننت رحيماً هادياً ومعلماً

ليبك عليك اليوم من كان باكيا

لعمرك ما أبكي النبي لفقده

ولكن لما أخشئ من الهرج آتيا^(١)

٦ - وبكى أبو ذؤيب على رسول الله ﷺ حين وفاته

وأنشد:

لما رأيت الناس في عسلاتهم

ما بين ملحوذٍ له ومضرح

متبادرين لشرح بأكفهم

نص الرقاب لفقد أبيض أروح

فهناك صرت الى الهموم ومن يبت

جار الهموم يبيت غير مروح^(٢)

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لمحمد بن عبد البر ٤: ١٤٩.

(٢) الاستيعاب لابن عبد البر ٤: ٢١٤، رقم ٢٩٧٢.

٧- ذكر ابن إسحاق أن أبا سفيان بن الحارث بكى
 النبي ﷺ كثيراً ورثاه فقال:
 أرقتُ فبات ليلى لا يزول
 وليل أخي المصيبة فيه طول
 فأسعدني البكاء وذاك فيما
 أصيب المسلمون به قليل
 لقد عظمت مصيبتنا وجلّت
 عشية قيل قد قبض الرسول^(١)
 ٨- لما نعي النعمان بن مقرن إلى عمر بن الخطاب وضع
 يده على رأسه وصاح يا أسفا على النعمان!
 ولما استشهد زيد بن الخطاب باليامة وكان صحبه
 رجل من بني عدي بن كعب، فرجع إلى المدينة فلما رآه عمر
 دمعت عيناه وقال:
 وخلفت زيدا ثاوياً وأتيتني^(٢).
 ولما توفي خالد بن الوليد أيام عمر بن الخطاب - وكان
 بينهما هجرة - امتنع النساء من البكاء عليه، فلما انتهى ذلك
 إلى عمر، قال: وما على نساء بني المغيرة أن يُرقن من دمعهن
 على أبي سليمان ما لم يكن نقعاً ولا لقلقة.

(١) الاستيعاب لابن عبد البر ٤: ٢٣٨، رقم ٣٠٣٢.

(٢) المصدر السابق، الهم والحزن، ابن أبي الدنيا، رقم ١٤٤.

وبكى متمم أخو مالك بن نويرة بمحضر أبي بكر وفي
 مسجد رسول الله ﷺ وكان متمم أعور دميماً فلما بلغه مقتل
 أخيه؛ حضر مسجد رسول الله ﷺ وصلى الصبح خلف أبي
 بكر، فلما فرغ من صلاته واستند في محرابه قام متمم فوقف
 بحذاءه واتكأ على سية قوسه، ثم أنشد:
 نعم القتيل إذ الرياحُ تناوحت
 خلف البيوت قتلت يا ابن الأزور
 أَدعوتَه بالله ثم غدرته
 لو هو دعاك بذمة لم يغدر؟
 وأما أبو بكر فقال: والله ما دعوته ولا غدرته ثم بكى
 وانحطَّ على سية قوسه، فما زال يبكي حتى دمعت عينه
 العوراء، فقام إليه عمر بن الخطاب فقال: لوددت أنك رثيت
 زيداً أخي بمثل ما رثيت به مالكاً^(١).

(١) وفيات الأعيان ٦: ١٥ و ١٦ رقم ٢٩٥.

المبحث الرابع

ما ورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في البكاء

بكى أئمة أهل البيت عليهم السلام وحثوا شيعتهم على البكاء ضمن الإطار الشرعي، الذي يحقق غرضه الإلهي المطلوب ولا يدخل في الحرمة، وإليك عدداً من تلك الروايات:

١ - عن عبدالله بن العباس، قال: «لما حضرت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الوفاة بكى حتى بليت دموعه لحيته، فقيل: يا رسول الله ما يبكيك؟ فقال: أبكي لذريتي، وما تصنع بهم أشرار أمتي من بعدي، كأني بفاطمة بنتي وقد ظلمت بعدي، وهي تنادي يا أبتاه! يا أبتاه! فلا يعينها أحد من أمتي. فسمعت ذلك فاطمة فبكت، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا تبكي يا بنية! فقالت: لست أبكي لما يصنع بي بعدك، ولكني أبكي لفراقك يا رسول الله، فقال لها: أبشري يا بنت محمد بسرعة اللحاق بي، فإنك أول من يلحق بي من أهل بيتي»^(١).

٢ - عن ثوير بن أبي فاختة، قال: سمعت الإمام علي بن الحسين عليه السلام يحدث رجلاً من قريش، قال: «لما قرب أبناء آدم القربان - إلى أن قال - ... فانصرف آدم فبكى على هابيل أربعين يوماً وليلة...»^(٢).

(١) أمالي الطوسي ١٨٨ ح ٣١٦ وعنه في بحار الأنوار ٢٨: ٤١.

(٢) بحار الأنوار ١١: ٢٣٠ عن تفسير القمي.

٣- روي عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام ، أنه قال: «بكى علي ابن الحسين على الحسين بن علي صلوات الله عليهم أجمعين عشرين سنة، وما وضع بين يديه طعام إلا بكى على الحسين عليه السلام حتى قال له مولئى له: جعلت فداك يا بن رسول الله، إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين! فقراً: ﴿قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾ إني لم أذكر مصرع بني فاطمة إلا خنقتني العبرة»^(١).

٤- روي عن أبي بصير، قال: سمعت الصادق عليه السلام يقول: «إنَّ أبي مرض مرضاً شديداً حتى خفنا عليه، فبكى عند رأسه بعض أصحابه، فنظر إليه وقال: إني لست بميت في وجعي هذا قال: فبراً ومكث ماشاء الله من السنين، فبينما هو صحيح ليس به بأس، فقال: يا بنيَّ اتَّيَّ ميت يوم كذا، فمات في ذلك اليوم»^(٢).

٥- عن حمزة بن حران، قال: دخلت الى الصادق جعفر بن محمد عليه السلام فقال لي: «يا حمزة من أين أقبلت؟ قلت: من الكوفة. قال: فبكى عليه السلام حتى بَلَّتْ دموعه لحيته، فقلت له: يا ابن رسول الله مالك أكثر البكاء؟ فقال: ذكرت عمي زيدا وما صُنِعَ به فبكيت. فقلت له: وما الذي ذكرت منه؟ فقال:

(١) وسائل الشيعة ٢: ٩٢٢، باب ٨٧ جواز البكاء ح ٧.

(٢) بحار الأنوار ٤٦: ٢٥٦.

ذكرت مقتله وقد أصاب جبينه سهم فجاءه ابنه يحيى فانكبّ عليه وقال له: أبشر يا أبتاه فإنك ترد على رسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، قال: أجل يا بُنيّ، ثم دعا بحدّاد فنزع السهم من جبينه، فكانت نفسه معه... إلى أن قال عليه السلام - فلعن الله قاتله وخاذله والى الله جلّ اسمه أشكو ما نزل بنا أهل البيت...»^(١).

٦ - عن أبي هارون المكفوف قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «يا هارون أنشدني في الحسين عليه السلام قال: فأنشدته، قال: فقال لي: أنشدني كما تنشدون - يعني بالرقّة -، قال: فأنشدته (شعر):

أمرر على جدث الحسين

فقل لأعظمه الزكّية...

قال: فبكى، ثم قال: زدني، فأنشدته القصيدة الأولى، قال:

فبكى وسمعت البكاء من خلف الستر.

قال: فلما فرغت قال: يا أبا هارون من أنشد في الحسين

شعراً فبكى وأبكى عشراً كتبت لهم الجنة، ومن أنشد في الحسين

شعراً فبكى وأبكى خمسة كتبت لهم الجنة، ومن أنشد في الحسين

شعراً فبكى وأبكى واحداً كتبت لهما الجنة، ومن ذكر الحسين عليه السلام

(١) أمالي الصدوق: ٣٩٢، والبحار ٤٦: ١٧٢.

عنده فخرج من عينه من الدموع مقدار جناح ذباب كان ثوابه على الله ولم يرضَ له بدون الجنة»^(١).

٧- عن الوشا عن الرضا عليه السلام أنه قال بخراسان: إني حيث أرادوا بي الخروج جمعت عيالي فأمرتهم أن يبكوا عليّ حتى أسمع، ثم فرقت فيهم اثني عشر ألف دينار، ثم قلت: أما إني لا أرجع إلى عيالي أبداً»^(٢).

٨- عن الريان بن شبيب، قال: دخلت على الرضا عليه السلام في أول يوم من المحرم، فقال لي: «يا بن شبيب إن المحرم هو الشهر الذي كان أهل الجاهلية يحرمون فيه الظلم والقتال لحرمة، فما عرفت هذه الأمة حرمة شهرها ولا حرمة نبيها صلى الله عليه وآله وسلم، إذ قتلوا في هذا الشهر ذريته، وسبوا نساءه، وانتهبوا ثقله، يا بن شبيب! إن كنت باكياً لشيء فابك للحسين عليه السلام فإنه ذبح كما يذبح الكبش، وقتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلاً ما لهم في الأرض من شبيهه، ولقد بكت السماوات السبع لقتله، - إلى أن قال - يا بن شبيب! إن سرّك أن تكون معنا في الدرجات العلى فاحزن لحزننا، وافرح لفرحنا، وعليك بولايتنا»^(٣).

(١) ثواب الأعمال للصدوق: ٤٧، وكامل الزيارات: ١١١.

(٢) بحار الأنوار ٥٢: ٤٩.

(٣) المجالس الفاخرة للسيد عبدالحسين شرف الدين: ٢١ نقلاً عن العيون للصدوق.

٩- عن الحسن بن يزيد، قال: ماتت ابنة لأبي عبد الله عليه السلام ففناح عليها سنة، ثم مات له ولد آخر ففناح عليه سنة، ثم مات له اسماعيل فجزع عليه جزعاً شديداً، فقطع النوح، قال: فقيل لأبي عبد الله عليه السلام أيناح في دارك؟ فقال: «إن رسول الله ﷺ قال لما مات حمزة: لكن حمزة لا بواكي له»^(١).

١٠- عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، أنه قال: «من كرم المرء بكأؤه على ما مضى من زمانه»^(٢).

١١- وعن الإمام زين العابدين عليه السلام، قال: «ما من قطرة أحب إلى الله عز وجل من قطرتين: قطرة دم في سبيل الله وقطرة دمعته في سواد الليل، لا يريد بها عبد إلا الله عز وجل»^(٣).

١٢- عن محمد بن الحسن الواسطي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن إبراهيم خليل الرحمن سأل ربه أن يرزقه ابنة تكيه بعد موته»^(٤).

(١) الوسائل ٢: ٨٩٢، كتاب الطهارة أبواب الدفن، باب جواز النوح والبكاء على الميت.

(٢) بحار الأنوار ٧٤: ٢٦٤.

(٣) بحار الأنوار ٧٤: ٢٦٤.

(٤) وسائل الشيعة ٣: ٢٤١، ٢٤٢ عن الكافي والتهذيب.

المبحث الخامس

حكم البكاء وتوابعه عند علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام

إنّ البكاء جائز قبل خروج الروح وبعده^(١)، بل يستحب^(٢) إذا كان الميت مؤمناً وفي حالة إذا كان الحزن شديداً^(٣).

ولو مع الصوت، بل قد يكون راجحاً، كما إذا كان مسكناً للحزن وحرقة القلب، بشرط أن لا يكون منافياً للرضا بقضاء الله، ولا فرق بين الرحم وغيره^(٤).

ومدرّك ذلك الإجماع والنصوص المستفيضة وفي بعضها الأمر به عند شدة الوجد^(٥).

(١) ذكرى الشيعة ٤٧:٢ للشهيد الأول.

(٢) النص والاجتهاد لشرف الدين: ٢٤٧.

(٣) تحرير الوسيلة للإمام الخميني ١: ١٦٤.

(٤) مستمسك العروة الوثقى للحكيم ٤: ٢٦٦.

(٥) مستند الشيعة للنراقي ٣: ٣١٨. وراجع الوسائل ٣: ٣٤١، أبواب الدفن، ب ٧٠. وجاء في المعجم الوسيط مادة وجد: (وَجَدَ) فلان وجداً: حزن و عليه مؤجدة غَضِبَ. وبه وجداً أحبه. وفي مجمع البحرين للطريحي: توجدُ لفلان: حزنْتُ له وَجْدَ بفلانة وجداً: أَحَبَّها حباً شديداً. مادة وجد ١٥٥:٣.

وأما البكاء المشتمل على الجزع وعدم الصبر فجائز ، ما لم يكن مقروناً بعدم الرضا بقضاء الله، نعم يوجب حبط الأجر ولا يبعد كراهته^(١).

كما يجوز النوح على الميت بالنظم والنثر ما لم يتضمن الكذب، ولم يكن مشتملاً على الويل والشبور. ولا يجوز اللطم والخدش وجز الشعر، بل والصراخ الخارج عن حد الاعتدال كما لا يجوز شق الثوب على غير الأب والأخ.

أما جز المرأة شعرها في المصيبة فكفارتة كفارة شهر رمضان، وفي تنفه كفارة يمين، وكذا في خدشها وجهها. وفي شق الرجل ثوبه في موت زوجته أو ولده كفارة يمين: وهي إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو تحرير رقبة، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام^(٢).

(١) مستمسك العروة الوثقى ٤: ٢٦٧.

(٢) المصدر السابق ٤: ٢٦٧.

الخلاصة

إنَّ البكاء من الشعائر الإسلامية المحبوبة عند الله سبحانه، لذا ورد الحث عليه في الكتاب والسنة والشريعة. ومن هنا قد بكى الأنبياء ﷺ في مناسبات عديدة، كبكاء النبي يعقوب على ولده النبي يوسف.

وإن سيرة الرسول ﷺ كانت مستمرة في البكاء على من رآه مشرفاً على الموت وعلى من توفي شهيداً أو غير شهيد وعلى قبر المتوفى.

وأما سيرة المسلمين فهي الأخرى مستمرة في البكاء على موتى المؤمنين أثناء حياة الرسول ﷺ وبعد وفاته، وكتب الحديث والسير مملوءة بقصص البكاء والرثاء على موتاهم.

واتضح أن فرض صحة روايات التحريم يتعارض مع روايات جوازه هذا من جهة، وتعارضها من جهة ثانية مع منطق القرآن الذي لا يحتمل أحد المذنبين ذنب غيره، ومعارضة عائشة وابن عباس لرواية التحريم التي يرويها عمر بن الخطاب وابنه عبدالله حيث نعتوها بالخطأ والنسيان من جهة ثالثة.

أما مذهب أهل البيت ﷺ فهو جواز البكاء على موتى المؤمنين بشرط أن لا يكون مقروناً بعدم الرضا بقضاء الله، أو أن يكون الرثاء والنوح مشتتلاً على الكذب، أو خمخ الوجه، وشق الجيوب.

الفهرس

- كلمة المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام ٧
البكاء على موتى المؤمنين ١١
فكرة عامة حول البكاء ١١

المبحث الأول

- منشأ الخلاف في حرمة البكاء على موتى المؤمنين ١٤
موقف عائشة من الرواية ومن حرمة البكاء ١٥
موقف ابن عباس ١٧
موقف أبي هريرة ١٨
تعارض روايات تحريم البكاء مع روايات جوازه ١٨
تعارض مضمون روايات تحريم البكاء مع مفاهيم القرآن الكريم ١٩

المبحث الثاني

- بكاء الرسول والأنبياء عليهم السلام على موتى المؤمنين ٢١

المبحث الثالث

سيرة المسلمين في البكاء على موتى المؤمنين ٢٩

المبحث الرابع

ما ورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في البكاء ٣٤

المبحث الخامس

حكم البكاء وتوابعه عند علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام .. ٣٩

الخلاصة ٤١

الفهرس ٤٣